

## رشيده ياسين

### سلاح النفط وقومية المعركة

« لا ينبغي ان يعتبر النفط ائمن من الدماء العربية » .

هذه العبارة التي قالها الرئيس العراقي احمد حسن البكر منذ يومين اوجزت ، بمنتهى البلاغة ، الخيار الذي تواجهه دول النفط في العالم العربي : ان تبادر فوراً الى قطع شحنات النفط عن حلفاء اسرائيل ، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الاميركية بالطبع ، او ان تشارك بصورة غير مباشرة في اراقة المزيد من الدماء العربية !

وامام خيار كهذا هل يحق للمتريدين ان يدعوا انهم يقومون بدورهم في المعركة ، وهل تفني عن قطع النفط مساعدات مالية وطبية تقدم الى هذه الجبهة او تلك ، او قوات رمزية تشترك في القتال !؟

ان العلاقة بين تدفق النفط العربي الى مستودعات الاعضاء وبين تدفق الدم العربي على خطوط القتال وفيما ورائها علاقة ظاهرة ، متعددة الجوانب . ولعل اقرب هذه الجوانب اليها في هذه اللحظة واشدها ايلا ما ان الطائرات الاميركية التي خفت لنجدة الطيران الاسرائيلي المبيض الجناح انما تستمد وقودها من آبار النفط العربية ، فليس معقولا ان يستورد الاسطول الاميركي السادس ، الذي يحل - بصفة دائمة - صيفا ثقلا على البحر المتوسط ، وقوده من آبار تكساس ! واذا وضعنا جانبا كل تلك الارباح الاسطورية التي امتصها تين الاحتكارات الاميركية من باطن الجزيرة العربية ، والتي تحول قسم منها الى طائرات فانتوم وقنابل نابالم في ايدي القتل الاسرائيليين ، فان قطع النفط عن الولايات المتحدة والمانيا الغربية في هذه اللحظة بالذات سيوقع الهلع والارتباك في الاوساط الحاكمة في واشنطن ، وسيجعل حكام بون ، الذين يرقصون على اكثر من حبل واحد ، يفكرون طويلا قبل ان يسمحوا بشحن طائرات الفانتوم الموجودة في المانيا الغربية الى اسرائيل التي بات سلاحها الجوي « خردوات » مبعثرة في اصقاع مختلفة من الارض العربية .

ويكذب كيسنجر حين يتظاهر في مؤتمره الصحفي بان قطع النفط العربي عن اميركا لن يغير من موقفها ازاء اسرائيل . فاميركا - كما يعترف خبراءها بالذات - لن تستطيع الاستغناء عن النفط العربي قبل مضي عشر سنوات على الاقل . واذا ما بادرت الدول العربية العنينة الى قطع النفط عنها فوراً فان هذا لن يحد من تحركها العسكري ضدنا وحسب ، بل سيحرم الفرد الاميركي من وسائل التدفئة الكافية ويضطره الى ارتداء معطفه داخل المنزل ، وما اظنه مستعدا لتحمل هذا القرم الفادح مقابل ان يتاح لاسرائيل ان تواصل السطو والاعتصاب والعريضة في الشرق الاوسط !

هذه حقائق لم تعد خافية على احد ، ولا سيما بعد الجزع الذي استحوذ على العالم الراسمالي برمته في اعقاب تأميم شركات النفط الاميركية في ليبيا . من هنا برز الى المقدمة شعار « النفط فسي

المعركة » . واكتسب هذا الشعار صفة ملحمة بعد ان اشتعلت النار ، التي انتظرناها طويلا ، في سيناء والجولان . فماذا تنتظر دول النفط لتضع في ايدي مقاتلينا البواسل هذا السلاح المرهف !؟

لقد اعلنت بعض هذه الدول انها ستقطع النفط عن الولايات المتحدة اذا واصلت هذه تزويد اسرائيل بالسلاح . وها هي وكالات الانباء تدعي ان واشنطن ستعوض الاسرائيليين ، في غضون يومين او ثلاثة ، عن كل ما خسروه من سلاح ، وان اعدادا كبيرة من المتطوعين الاميركيين في طريقهم الى الشرق الاوسط ليشتبكوا في القتال ضد العرب . وفوق هذا كله فقد توافرت القرائن على ان سلاح الجو الاميركي يشارك - وربما على نطاق اوسع مما نظن - في الفارات الهمجية على اراضينا ... فهل بعد هذا كله من ميرد للانتظار ؟ وهل ثمة قيمة تعلق على المصير القومي وعلى الدماء العربية التي خالطت التراب تحت انقاض المنازل الامنة في دمشق وحمص واللاذقية وبور سعيد وغيرها من المدن التي امطرها عدونا المستكلب بنيرانه !؟ ..

مرة اخرى نعود الى موقف العراق الذي كان امثولة رائسة للالتزام القومي الحق والانسجام الكلي بين الشعارات المعلنه والممارسة الفعلية . فقد اعلن العراق انه يضع جميع امكانياته في خدمة المعركة ، ويشهد الدور الذي لعبته القوات العراقية وما تزال تلعبه في جبهة الجولان وفي سماء سيناء وبقية الارض المحتلة بان العراق رمى في المعركة فعلا بكل ثقله العسكري .. وكان العراق سابقا الى استخدام سلاح النفط عندما بادر الى تأميم حصص الشركات الاميركية في شركة نفط البصرة .

بقي ان يفعل الآخرون بعض ما فعله العراق فيبادروا - على الاقل - الى قطع النفط عن الاعداء ، اذا لم تواتهم الجراءة على تأميمه نهائيا . وعند ذلك فقط سيدفعون الظنون عن صمدق عروبتهم ، وسيكون لهم شرف الاسهام في تحقيق النصر .

المحرر

١٦ تشرين الاول

### بداية النظر الاستراتيجي

الا ، وقد اجترح جنودنا ما يشبه المعجزة حين عبروا القناة ودكوا خط بارليف الحصين ، وخاض مقاتلونا في سيناء والجولان ملاحم قال عنها الخبراء العسكريون الغربيون بالذات انها من اعظم معارك الممرعات في التاريخ ، نفق نحن ، الذين اصطلح على تسميتها بالادباء والكتاب ، ذاهلين وقد باغتننا الاحداث ، تسماما كما باغتت المراقبين الاجانب الذين لا يعرفون من واقعا الا قشرته الخارجية !

المباشرة ، ونعني صورة الانسان العربي كما أبرزتها ظروف الحرب في خطوط القتال الاماميه وفي المؤخرة على السواء ، وهي صورة تختلف جوهريا عن صورته في الادب الذي درجنا على تسميته بأدب حزيران .

لم يكن أدب حزيران رديئا في جملته ، بل يمكن القول بأنه نجح الى حد كبير في التعبير عن المرارة التي طفحت بها النفوس بعد هزيمة حزيران المأساوية . ولكنه كان أدبا قصير النظر ، مفرطا في التشاؤم ، متحاملا على الانسان العربي . ويصح في هذا الصدد ان نتذكر نصيدة نزار قباني المعروفة « هوامش على دفتر النكسة » التي كانت حجر اساس في بناء أدب حزيران الموحس . فقد وفق قباني في قصيدته تلك الى تشخيص عوامل الهزيمة واحتج باسمنا جميعا على المهابة التي نحققنا ، ولكنه نفص يديه من ابناء جيسله ووضع آماله في الاضال العرب الذين توسم فيهم انهم سيفسولون عار آبائهم . ولئن ها هو جيل الآباء الذي كفر به نزار قباني يشبت له انه غالى في كفره وتشاؤمه وان الانسان العربي في أيامنا هذه ما زال قادرا على ان يعاقل وينصر اذا توافر له السلاح الحديث والقيادة الحكيمة الزهية .

ما نحتاجه في مرحلتنا الجديدة هو أدب يؤكد القيم الحيوية الاساسية التي يجب ان يتجه النضال العربي منذ اليوم الى توكيدها ، وهي قيم يمكن تلخيصها في بناء مجتمع عربي علماني ، حر ، موحد .

ان ما كان حتى الامس القريب افكارا مجردة وشعارات فد أعطته الحرب وجودا حسيًا يذنيه من اللمس والادراك . فاذا كنا في الماضي نحلم بالوحدة العربية كما يحلم الفقير المدمم بثروة قد تهبط عليه يوما من السماء ، فان اشكل التضامن القومي التي تجلت في حرب تشرين الاول قد كشفت ، بصورة ملهوسة ، عن جسامه الطاقات التي تنطوي عليها الوحدة العربية ، وجعلت منها مطلبًا آتيا لا سبيل الى ارجائه ، ولا سيما بين تلك البلدان العربية التي لا تشكسو تفاوتًا ملحوظًا في مستوى التطور الاقتصادي او تباينًا جوهريًا في العقائد .

واذا كانت الدعوة الى « علمنة » الحياة العربية قد ارتبطت حتى الآن بتوق الفئات المستنيرة في العالم العربي الى بناء مجتمع عربي مزدهر متحضر ، فان الحرب قد علمتنا ان تطورنا العلمي ليس ضمانًا لمستوى معين من الرفاه المادي والروحي وحسب ، بل هو ضمانة لوجودنا ذاته كامة ذات سيادة ، قادرة على حماية حريتها وتقرير مصيرها . وبعبارة اخرى فان علينا ان نسعى الى امتلاك التكنولوجيا التي تمكننا ، لا من صنع البراد والترانزستور وحسب ، بل الكمبيوتر والطائرة والصاروخ كذلك . ولا يخطر في بالي سبب يجعلنا نتهيب التطلع الى مثل هذه الافاق . لقد أخذنا حضارة العالم القديم فطورناها واغنيناها ، فلم لا يكون اسلافنا لنا قدوة ؟!

واخيرا فان المواطن العربي الذي كابد في كل تاريخه الحديث وطاة التسلط والكبح والامتهان ، مهما تفاوتت الدرجات بين عهد واخر وبين قطر واخر ، ان له اخيرا ان يسترد كرامة المواطن وحرية ، وان يتخلص من كل المسوقات التي تلجم مبادرته وقدرته على الابداع .

ان الدفاع عن الوطن مهمة لا يجيها الا الاحرار وحدهم ، لانك اذ تسلب المرء حريته انما تسلبه وطنه الحقيقي ولا تبقى له شيئا يستعين من اجله بالموت .

هذا ، بكل اختصار ، ما يبدو لي انه مهمة الادب العربي في مرحلته الجديدة - النضال في سبيل الوحدة والعلم والحرية .

المرح

٥ تشرين الثاني

لقد طرق دوي المدافع اسماعنا ونحن عاكفون على كتابة « بكائيات حزيران » فانتفضنا وفركننا عيوننا دهشة ، وتطلعتنا الى الافق الذي جرفت غيومه فجأة موجسة كاسحة من النار ، وتساءلنا بقلوب لم تخل رغم الفرح الطفولي من بقية شك وخوف : أهذه حقًا هي أمتنا ؟ أهذا الجندي الذي يلف جسمه بالمنفجرات ويرتمي تحت العبابة الاسرائيلية في سيناء هو نفسه الجندي العربي الذي زعموا انه ترك حذائه وجرى حافيا لينجو بنفسه من نيران العدو قبل ست سنوات ؟ . أهذا الضابط الجريح الذي يتسلل من المستشفى في دمشق ، في غفلة من الاضياء ، ليزج بنفسه في جحيم المعركة من جديد ، هو نفسه الضابط العربي الذي أوهمنا أعداؤنا - وأوهمنا انفسنا - انه زاهد في القتال !؟

اجل ، هذه أمتنا وهؤلاء جنودنا ، ولكننا - نحن الذين يفترض فينا ان نكون مرآة لضمير الامة وان نستشف ما يختمر في اعماقها - اثبتنا اننا لم نكن غير مراقبين اجانب نرى قشرة الواقع ولا نرى الروافد التي تتجمع في اعماقه ! وانها لشهادة اخفاق معزن لادب أمة ما ان يعجز عن تشخيص هويتها واستشراق منظورها التاريخي من خلال طاقاتها المادية والروحية الكامنة .

في النصف الاول من القرن الماضي يوم كانت روسيا غارقة في التخلف ونظام القنانة ، استطاع غوغول الذي نفذ بعجزته الى روح امته ان يستشف الدور الذي كانت ستلعبه هذه الامة في تاريخ الانسانية . ويوم كان المحتلون الهتلريون يعربدون في باريس كتب فيركور « صمت البحر » ليؤكد ان روح شعبه لن تهزم . اما نحن فقد كان ادبنا بعد حزيران ( معظمه على الاقل ) نعيًا موحشا يفذي روح الهزيمة ويشكك الفرد العربي في طاقاته وتراثه وقدرته على مواجهة العصر . وفات ادبنا ان جوهرنا كامة اضاعت غياهب العالم قرونا عديدة كان لا بد ان يتألق من جديد حين تراح عنه اوصار التخلف والفساد والعمالة التي طمسته حينًا من الدهر .

فهل سنكسون حرب تشرين بالنسبة لادبنا بداية النظر « الاستراتيجية » الذي يتخطى النكسات والهزائم العابرة ليستشرف الخطوط العريضة لحركة التاريخ ؟ وهل سيكون ميلادنا الجديد في صرام المارك ايدانا بميلاد أدب عربي جديد يستوعب واقعتنا بكل ابعاده ويسبق الاحداث بدلا من ان يجري في غبارها ؟! تلك هي المهمة التي تطرحها الاحداث الراهنة امام رجال الادب والثقافة .

المرح

٢٢ تشرين الاول

## بعد حرب ٦ تشرين

ما من شك في ان حرب تشرين الاول قد وضعت ادبنا على اعقاب مرحلة جديدة ، فما هي المتطلبات التي تطرحها هذه المرحلة امام الادب ، وهل يتوجب عليه منذ الآن ان يتبنى - ولو بأهم الخطوط - برنامجا واضحا يحدد غاياته ويعصمه من الضياع ؟

في رأيي ان برنامجا كهذا بات ضرورة حيوية . ومن الطبيعي ان مهمة صياغة هذا البرنامج منوطة بمؤتمر يعقده الادباء العرب ، ولكن هذا لا يمنع من ابداء بعض الآراء المستخلصة من احداث الحرب الاخيرة .

وليس الذي يعيننا هنا ما أسفرت عنه الحرب بصورة مباشرة او ما قد تسفر عنه في الفد القريب ، فهذا متروك للمعلقين السياسيين ، بل يعيننا ما هو اعمق دلالة وأبعد اثرا من نتائج الحرب